AL-MA'RIFAH
Jurnal Budaya, Bahasa, dan Sastra Arab
(Journal of Arabic Culture, Language, and Literature)

Vol. 17, No. 1, April 2020, 87–97
P-ISSN: 1693-5764
E-ISSN: 2597-8551

أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في القرن التاسع عشر: قصيدة الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي في غزوة كنو أنموذجا

Muhammad Safiyyu Abdulkadir*
Federal University of Kashere, Gombe State, Nigeria

The Impact of Poetry on the Codification of Historical Events in the 19th Century: The Poem of Sheikh Muhammadu Bello bin Sheikh Usman bin Fodio in the Battle of Kano as a Model

E-Mail Address
muhammadsafiyyuabdulkadir@gmail.com
***Corresponding Author**

Abstract
Poetry is a notable record for historical events, a tool for arousing enthusiasm and a capability of emotional expression that drives society. The objective of this article is to investigate and appraise the degree for special literary description on poetic influence in the recording of historical events in the 19th century in Nigeria. The article contains a biography of the poet Sheikh Muhammadu Bello bin Shaykh Usman bin Fodio and preamble that will assist in understanding the meaning of historical Arabic poetry. The theme of this article comprises the meaning of historical Arabic poetry, word expression, skills in the language of poetry, the poet's artistic doctrine, and the belief of the poet feels. The poetry of historical events is counted among the best poems in Arabic literature of the past and present period. The author collected lots of data and will use the descriptive and analytical methods in carrying out the research.

Keywords
Muhammadu Bello;
battle of Kano;
historical event;
Arabic poetry

المقدمة

إنه من الطبيعة البشرية الاهتمام بالتاريخ. وكان هذا الاهتمام يعد من ثقافة القوم ووعيهم بالحياة حتى إذا زادت ثقافتهم وتطورت يوجد من بينهم من يقوم بتدوين هذا التاريخ. وليس هذا أمر بعيد، فقد جاءت الكتب السماوية بأخبار عن الأحداث التاريخية وقعت بين المصلحين والفاسدين. لذلك كان في تراث العرب دراسة للأحداث والوقائع التاريخية يدونها نثرا وشعرا كغيرهم فيستشهدون بهما لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية. وكان الشعر العربي في هذا الأمر سجلا كبيرا وقاموسا واسعا لمآثر العرب، فهو مرجع عظيم لعلمهم من اللغة والفصاحة والبلاغة بلاغتهم ومعرضا عن بيانهم في قوة الألفاظ ودلالات المعاني. فقد حموا في الشعر عناصر ثقافتهم وسمو أفكارهم، وبه يعبرون عن قوة

Available online at
http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba/index
DOI: https://doi.org/10.21009/almakrifah.17.01.09

Copyright © 2020 The author
This article is distributed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

الحدس ورقى الشعور. لذلك يوجد من كافة أنوع كتبهم في الفنون العلمي الشواهد الشعرية. ولما كانت العربية من لغة الإسلام وأصبح المسلمون غير العرب يتقنونها نطقا وكتابة صاروا أيضا يدونون مآثرهم من خلال الشعر العربي وحفظوا بهذا الشعر علومهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والعقلية والتاريخية. كما تبين أثر ذلك في علماء نيجيريا منذ القرون الماضية، وهذا الشيخ محمد بلو بن الشيخ المجدد عثمان بن فودي يدون لنا في أشعاره أحداث تاريخية وقعت في القرن التاسع عشر الميلادي منها معركة كَنُو (Kano)، وهو موضوع هذا المقال الذي اشتمل على المقدمة، والتعريف به، ووفاته، وعرض بعض إنتاجاته، وتقديم نص القصيدة وشرحها ودراستها الأدبية، وإبراز ما فيها من الخصائص الفنية من المذهب الفني للشاعر، والألفاظ والمعنى من حيث المساواة، ولغة القصيدة، وجمالية الصورة من الشكل والمضمون، وصدق العاطفة.

التعريف بشخصية الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي

أ. مولده ونشأته

هو الشيخ محمد بن الشيخ المدد عثمان بن فودي بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورط بن حب بن محمد ثنبوبن بن وماسران بن أيوب بن بوب بن بابا بن موسى جكل، وأجداده من قبيلة الفلاني (Fulani) المدعوة بـ تُورَدب (Toorodbe) التي هاجرت من تنبكتو (Timbuktu) إلى فوتاتور (Futa Tur) من بلاد السنغال (Senegal) لوقت قديم ثم هاجروا منها إلى كن (Kun) من بلاد هوسا (Hausa) في أواخر القرن الثامن الهجري فانتشروا في بلاد هوسا.

ولد محمد يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة ١١٩٥ هـ، ولقب ببِلُّو (Bello)، ثم إنه نشأ في سيرة مباركة وطبائع حسنة وحالة حميدة من طلب العلم وخدمته منذ صغره. وكان يوصف بالفطنة وقوة الحفظ والإدراك التام وبالفصحة الفذة في القول وسعة البلاغة ما لم يحظ بها غيره من أترابه وزملائه. وكان يفطن ويدرك المفاهيم في أسرع وقت ممكن ما لم يدركه غيره من الأحقاب المتطاولة فأحرز العلوم كلها. كان موفقا في أموره بتوفيق الله له ثم إنه بورك في تربيته وأدبه فعمته بركات والده وخيراته حتى صار عالما ربانيا يتحدث عنه في البلاد ويشار إليه بالبنان لسعة علمه وفطانته.

لقد أصبح الشيخ محمد بلّو (Muhammadu Bello) واحدا من أبرز تلاميذ شيخه الوالد عثمان بن فودي (Usman dan Fodio) وخدمه ووازره وتحمل من واجباته في البيت وخارجه ورافقه في الجهاد كما قد نصب له لواء في بعض الفتوحات وحصل على يده الانتصارات المباركات. صار خليفة بعد وفات والده. وكان محمد بلو مرزوقا بالأخلاق الفاضلة والأوصاف البهية الشاملة وله استبحار فائق في العلوم الأصلية والفرعية ومعرفة السياسة وأوضاعها ومعرفة الشريعة، وجمع فيه علم سير الأنبياء وآثار الأولياء وبراعة العلماء وحكم الحكماء وعدالة الخلفاء. كان متمسكا بكتاب الله عز وجل وبالسنة النبوية المطهرة، معتقدا بالأشعرية قيدته، متبعا المذهب المالكي، متصوفا بالطريقة القادرية. وقد اتفق الناس على حسن سيرته وصلاحه وحسن سيرته وسياسته.

توفي الشيخ محمد بلو رضي الله عنه عشية يوم الخميس ٢٥ من شهر رجب عام ١١٢٥٣ هـ الموافق بعام ١٨١٧ م في موضع رباطه (Rubata) المسمى بـ بورنو (Borno) وهو بلد يبعد عن صكتو (Sokoto) شرقا بنحو ثلاثين ميلا، ودفن في داره. وعمره حينئذ ثمان وخمسون سنة إلا شهرا. وقضى إحدى وعشرين سنة في الخلافة (Bello, n.d., pp. 21–23).

ب. إنتاجاته

ألف الشيخ محمد بلو عددا من الكتب كما خلف مقالات عدة تشبه مؤلفات والده من ناحية الأفكار والمنهج. فكانت كتبه تتناول في الغالب مباحث في العلوم الدينية، والمعاملات، والتصوف، غير أنه يمتاز عن والده بوُلَعِه الكبير بالتاريخ وكتابه "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور" شاهد على ذلك، وهو من أكبر مؤلفاته كما هو يعد من أكبر مصدر موثوق به في تاريخ بلاد هَوسا. ومن مؤلفاته:

١. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور
٢. كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان
٣. شفاء الأسقام في ذكر مدار الأحكام
٤. الغيث الويل في سيرة الإمام العدل
٥. البدور المسفرة في الخصال التي ندرك بها المغفرة
٦. روض الأحكام
٧. تنبيه أهل الفهوم على وجوب اجتناب أهل الشعوذة والنجوم (مقالة)
٨. رفع الشبهة في التشبيه بالكفرة والظلمة (مقالة)
٩. رفع الإشباه في التعلق بالله وبأهل الله (مقالة)
١٠. سرد الكلام فيما وقع بيني وبين عبد السلام (مقالة)

والحقيقة أن إنتاجاته كثيرة تبلغ مائتين أودون ذلك قليلا وهي بين الكتب والمقالات (Abū Bakr, 1972, pp. 258–291).

نتائج البحث والمناقشة

أ. نص القصيدة

سائلوا عنا وعن أعدائنا يوم دار الحرب في كنو الحفر
قد تركناهم بها مثل الهبا أو كأحطام الهشيم المحتظر
ولكم كر به فرساننا في صناديد كياوا المنكسر
إذ رجعنا لهم وقت الضحى بجنود كجراد منتشر

وكـان الخيـل في أرجائـها حدا تخـطف أشـلاء البـقر
فلقينـاهم وأوغلنـا بهـم بـرماح وسـهـام كـالمطـر
واشـرأبوا فـرمونـا مثـلهـا فأقـمنا هكـذا حتى الظهـر
فدعـونا يـا نزال للوغـى فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقـيناهم منـايا فـرءوا سهـم أمثـال جـذع منقـعر
ثـم رحـنا غانمـين كـأننـا قد رجعنا من جواثي للحفـر
فأحمـدوا الله على إحسـانه لأولى الإسلام يا أهل العبـر
فهو أهل الحمد والشكر معا وثقوا بالله في صرف الدهر
فهو مولانـا ووالـي أمـرنا حبذا المولى ونعم المنتصر

(Bello, n.d.: 147-148)

ب. شرح القصيدة ودراستها الأدبية

نظم الشاعر الشيخ محمد بِلُّو بن المجاهد المجدد الشيخ عثمان بن فودي قصيدته بعد أن فتح الله لهم وقتلوا رجال الأعداء وسبوا ذراريهم ونسائهم وجمعو أموالهم وحصل لهم الانتصار عليهم ورجعوا سالمين غانمين، وهي فصيدة تشتمل في ثلاثة عشر بيتا من بحر الرمل.

وكان فيها يوثق الأحداث عندما يوضح في شعره ملامح المعركة دارت بينهم كمسلمين وبين أعدائهم من المنافقين والكفار ويرسم صورة للترابط بين مكان المعركة وما يجري فيها من من كسر ظهور الأعداء وهزيمة جيشهم المسلم لهم. فيقول في جرأة وبطالة موجها خطابه إلى من لا يعرف قدرتهم القتالية أو إلى كافة الناس؛ "اسئلوا عن أخبارنا حينما زحف جيشنا إلى الأعداء وما لاقاه الأعداء على أيدي غزاتنا في معركة كنو (*Battle of Kano*). فقد دارت المعركة على الأعداء حينما شن جيشنا الغارة عليهم وقت الضحى فقطعاهم بسيوفه وأصابهم برماحه وأصلهم بأسهامه من جزورهم ولم تزل المعركة تتطاير شعلها بين جيشنا وبين الأعداء إلى وقت الظهر حيث فتك بهم الجيش وتركاهم منكسرين منهدمين يابسين كالأشجار المنحطمة يحشى عليها دوس الأقدام، وداس فرسان جيشنا القوي الباسل بحفار خيولهم رؤس كبارهم اليائسين الذين خرجوا من بلدة كِياوا فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وكان في هذه المعركة لا يسمع إلا صوت جلبة الحرب وصياح الرجال". ثم أخبرالشاعر أنهم دخلوا البلدة وقت العصر بسهولة دون أن يلحقهم أذى من الأعداء لأنهم هزموا وغلبوا وسرعان ما دخل جيشنا عليهم في وسط ديارهم هجم على من بقي من مقاتلي الأعداء فقتلهم الجيش وفتك بهم بالسهام والرماح وأسقطهم جاثمين ميتين على الأرض لا حراك لهم، يحسب من رآهم أنهم أعجاز نخل منقلعة من مغرسها ملقاة على الأرض. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ثم انصرف جيشنا بالغنائم السمينة، ثم ختم أبياته بأمر أولي النهى والعبر من المسلمين أن يحمدوا الله تعالى على إحسانه لهم وأن يثقوا به حيث هدى الجيش إلى السبل الناجحة فتم لهم النصر على الأعداء وقد كان سبحانه وتعالى مستحق الحمد والشكر وأنه هو المالك المنقلب للدهر

الذي يفعل ما يشاء ويختار القادر على كل شيء الذي يقهر على أعدائه بنصرة المسلمين عليهم فقد انتصر جيشنا على الأعداء فهزموا بتوفيق الله عز وجل فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهذه قصيدة قصيرة استهلها بشيء من الدقة حيث بدأها بتوجه الخطاب الإنشائي إلى كل من يسمعه من العقلاء ثم استمر يخبرهم ببسالتهم وبطالتهم في المعركة اتي دارت بينهم وبين الأعداء من أول النهار إلى نهايته من وقت الضحى إلى المساء بعد العصر، ثم رتب أفكار قصيدته في سياق واحد متماسكة العضوية ينتقل من جزء إلى أخر بربط أفكارها كالقصة الواحدة إلى أن وصل إلى نهايتها حيث اختتمها بما بدأ به من الخطاب الإنشائ يطلب من حوله من المسلمين أن يحمدوا الله تعالى.

ج. الخصائص الفنية في القصيدة

١. المذهب الفني للشاعر

كان الشعر ديوان العرب به تحفظ أسلوب حياتها العرقية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية به تكشف عن خفايا الأشياء وتوين الأحداث والوقائع. والديوان في اللغة: "مجتمع الصحف .... وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء" (Ibn Manẓūr, 1990, p. 385). فالشعر صحيفة للتاريخ تحمل في معلوماتها وثائق الأيام والأنساب واللغة والأحداث. فكم كان الشاعر يقوم بدور الجيش وحده في حماية أغراض قبيلته يدون في شعره أحوال قبيلته و وقائعها وأحداثها. لذلك لم يكن الشاعر أول من دون حدثا تاريخية وقعت في الماضي بل هناك العديد من الشعراء من المتقدمين والمتأخرين ممن لهم قدم السابق في هذا المجال، وإنما هو يقتدي بهم بعد استفادته مما قدموه وينسج على منوالهم. وأنه متأثر بمن سبقوه ولا سيما أن تدوين الوقائع والأحداث في الشعر من طبيعة العرب منذ القرون الأولى. وهذا عمر بن كلثوم في العصر الجاهلي يصيح بانتصارات قومه وأيامهم المعلمة المشهورة ويقول:

ونحن إذا عماد الحي خرت على الأحفاض تمنع من بلينا
نجذُّ رءوسهم في غير وتر فما يدرون ماذا يتقون
كأن سيوفنا فينا وفيهم مخارقٌ بأيدي لاعبينا
كأن ثيبنا منا ومنهم خضبن بأجوانٍ أو طُلينا

(Ḍayf, n.d.-a, p. 204)

وفي العصر الإسلامي يقول كعب بن زهير في أيام الخندق (Ḍayf, n.d.-b, p. 49).

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنَّعُ
ثلاثةُ آلاف ونحن نصِيَّة ثلاث مئين إن كثرنا وأربع
فراحوا سراعا موجفين كأنهم جَهَامٌ هراقتْ ماءَهُ الريح مقْلعُ
ورحنا وأُخرانا بطاءٌ كأننا أسودٌ على لحم ببيئة ظُلَّعُ

وفي العصر العباسي يقول أبوتمام في إحدى قصائده لخالد بن يزيد الشيباني وانتصار قومه في يوم ذي قار المشهور على الفرس:

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيدٌ من الأشباه ليس له صحْبُ
به علمتْ صهبُ الأعجم أنه به أعربتْ عن ذات أنفسها العُرْبُ
هو المشهد الفصل الذي ما نجا به لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صُلبُ

(Ḍayf, n.d-c, p. 277)

وفي العصر الحديث في عهد الشيخ عثمان بن فودي المجدد في بلاد نيجيريا جاء في قصيدة الشيخ عبد الله بن فودي كلام تاريخي عن قتالهم مع سلطان غُوبِر يُنْفَ (Gober Yunfa). وقد جمع جيوشا كبيرا من النوبة والتوارق والفلانيين الموالين له على قتال الشيخ عثمان فالتقى الجيشان في مكان يسمى كُتُ فقتل جيش سلطان غوبر وهزموا وانتصر عليهم جيش الشيخ عثمان. وفي ذلك قال الشيخ عبد الله:

وكنا انتظرناهم مواضع بيننا ثلاثة أيام وءاخر يَرْبع
ولما رأينا جبنهم عن جموعنا رحلنا إليهم واللواء مُرَفّعُ
وقيل لنا ساروا إلى كُتُ غربكم لكي يرجعوكم نحو شرق فتجمع
فقلتُ النجا لا يسبقونا لأهلنا بعشر ربيع بدرها يتطلع

(Ibn Fodio, n.d., p. 83)

فالقصيدة من ناحية الأفكار والمسيقى الداخلي والخارجية وأوضاع الفوضة القتالية والاتزان في الأساليب إيراد اللألفاظ الجزلة التي تحمل معاني البطالة والبسالة كلها سيان مما يدل على تأثر الشاعر بمن سبقه من الشعراء. وأن الشاعر نظم قصيدته هذه في النسيج القصير كما هو الوضع عند الشعراء القدامى، ذلك أن القصيدة تمثل حالة اضطرار وضيق الوقت. فالمقاتل لا وقت له لكثرة الكلام والقيل والقال، ولذا فإن القصيدة تتفق بالغرض والبيئة الحربية. ومن هنا كان الشاعر قد وفق في عرف الشعر القتالي وفي الحذاء والمشاكلة بين جو أفكاره من حيث الشكل والمضمون وبين ما وضعه العرب في من الألفاظ والمعاني تنسجم مع الوضه الحربي ما يدل على شاعرية الشاعر وعبقريته وأنه شاعر فلق وأديب بارع.

٢. الألفاظ والمعنى من حيث المساواة

إن الشاعر في هذه الأبيات تقصى الدقة في اختيار الألفاظ للمعنى المقصود بحيث كانت اللفظة مساوية لمعناها ولم يكن في شعره حشو لا فائدة له فكانت ألفظه جزلة دقيقة في معانيها تتفق بحال القصيدة وغرضها الذي من أجله سيق القصيدة عبر بها بالأساليب العربية الأصيلة واستعملها بأسلوب خشن تحمل

في طياتها معني الكرب والمصائب تحتذى بوضع المعركة ومن جماليات نص شعره في ائتلاف اللفظ مع المعنى واتفاقها مع الغرض قوله:

قد تركناهم بها مثل الهبا أو كأحطام الهشيم المحتظر

وقوله:

فسقينـاهم منايا فـرءوا سهم أمثال جذع منقعــر

فمهارة الشاعر هدته إلى اختيار ألفاظ تساوي المعانى، لأن الموقف لا يتطلب سواها وأن ترى أن الشعر نظم لوضع المعركة. فلا ينبغي أن يسهب الكلام في هذا الموقف ولا أن يكتفى فيه بتزين الكلام ولا حتى بالإشارة فإنه يخبر عن بطالتهم وبسالتهم في ميدان الحرب حيث أنهم برزوا على الأعداء وهاجموهم فقتلوهم وتركوا جثثهم ملقات على ساحة المعركة كأسجار مفتة مخطمة ثم زحفوا إلأى بلدهم ودخلوها فقتلوا بقاياهم وتركوا جثثهم على الأرض كنخيل منقطعة أسقطت على الأرض. كل هذا دليل على خبر الشاعر بأفانين الكلام في الأدب العربي.

٣. لغة القصيدة

إن لغة القصيدة من حيث معرفة الفروق الدقيقة بين الكلمتين المشتركين أو المترادفين دليل على جودة معاني الكلام لأن اللغة وسيلة للتواصل والتخاطب وهي أداة يتوصل بها إلى الأفهام تعبيرا عن المعاني والأفكار. فإحساس الشاعر باللغة وبمهارته الأدبية هداه إلى استعمال الكلمتين والموازنة بينهما "الحمد والشكر" في موضع واحد من البيت الواحد لمعرفته الرق الدقيق بينهما حيث يقول:

فهو أهل الحمد والشكر معا وثقوا بالله في صرف الدهر

فإن "الحمد والشكر" كلتاهما تدلان على معنى الثناء على الله وتطلقان للاعتراف والتحدث بنعمة الله تعالى. فكان الشاعر في موقف السرور بالنصر الذي حصل لهم في ميدان الحرب فلا يسعه إلا الاعتراف بنعمة الله وفضله عليهم الذي كتب لهم الانتصار على الأعداء فرجعوا إلى أهليهم سالمين غانمين مما جعله يثني على الله بالروح والجسم، فيُظهر مزاياهما ويكشف خفاياهما بشكل حسي. ولقد اعتقد أن "الحمد" أعم من "الشكر" فجمعهما لهذا الفرق لتكون له كل الكمال للتحدث بنعمة الله تعالى ويعتقد أن "الحمد والشكر" سبب لاكتساب الخير. و"الحمد" هو الثناء والنداء على الجميل مـن نعمة وغيرها، والشكر هو الثناء والنداء الجميل على النعمة خاصة. فكان من حسن تجربته باللغة، قدم في هذا الموقف الأعم ثم الأخص. "فالحمد" نقيض الذم، وأما "الشكر" فنقيض الكفران وهو يكون بالقلب واللسان والجوارح. والحمد لا يكون إلا باللسان، ومع ذلك فهو أعم من الشكر لشيوعه وسهولة أدئه، ولأن ذكر النعمة باللسان

والثناء على موليها أدل على مكانها من الاعتقاد وآدب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف اللسان وهو النطق عن كل خفي (al-Zamakhsharī, n.d., pp. 33–34).

٤. جمالية الصورة من الشكل والمضمون

هو عبارة عن تناسب أو اعتدال في العلاقات بين أجزاء الألفاظ، تتوافق به مع النفس، فتنفذ إليها بمضمونها المتمثل في تلك العلاقات، فتحدث فيها انسجاما خاصا أو هزات انفعالية خاصة هي مصدر المتعة بالصورة، والإحساس بجمالها (Ṭabal, 1998, p. 132). وعلى هذا، فإن الصورة الجميلة في الشعر تتعلق بالشكل ومضمونه، لذا فإن هذه القصيدة واكبت معركة تحرير المجتمع المسلم من كيان الكافرين والمنافقين من بلاد كنو وهي تعد من إحدى الوثائق التاريخية التي لها قيمتها في تأكيد الوقائع وسلامة الأحداث وقدرة الشعر على تصوير التاريخ، وتثبيت أحداثه وتصويره حياة الناس ومشاعرهم الإنسانية والقتالية بوضوح المعاني. وهنا تمثل في هذه النصوص صورة فرسان في ميدان القتال ملمين بأفانين الحرب ثابتين على خيول الجهاد المسرعات في الكر على الأعداء في ميدان الحرب بدأت الحرب بين الجانبين في الضحى حتى بلغت أوزارها ففتك الفرسان بأعدائهم تفتيكا وقتلوهم تقتيلا وظل ميدان الحرب ممتلئا بأجسامهم جثث ملقاة على الأرض تمر عليهم خفار الخيول المكرة ثم لم يتركوهم هكذا بل دخلوا على الأعداء من حصن البلدة وشنوا عليهم الغارة وقتلوسائر غرازة الأعداء وسبوا ذراريهم ونسائهم. ويتجلى حسن براعة الشاعر في التصوير عندما قرأت قوله:

إذ رجعنا لهم وقت الضحى	بجنود كجراد منتشر
وكان الخيل في أرجائها	حدا تخطف أشلاء البقر
فلقيناهم وأوغلنا بهم	برماح وسهام كالمطر
واشربوا فرمونا مثلها	فأقمنا هكذا حتى الظهر
فدعونا يا نزال للوغى	فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايا فرءوا	سهم أمثال جذع منقعر

أنظر كيف شبه الشاعر أعداءهم بالنخيل المفتت الساقطة على الأرض لسواد اللون وضخامة أجسادهم، كانت تدق رقابهم سيوف الفرسان وتفصل رؤسهم من أجسادهم بلا رؤس وتقلعهم سهامهم ورماحهم من جزورهم كعجز النخلة الملقاة على الأرض. ولا شك أن الشاعر عبقري في معرفة المساوات بين الشكل والمضمون. وقد علم أن الشكل وحده لا يكفي في إيجاد هذه الصورة الحية، بل لابد من انسجامهما بعضه ببعض. فعمل على ربط العلاقة بينهما في شعره للإخرج هذه الصورة الحقيقة، ثم إذا نظر القارئ إلى تلك المعاني يجدها متجسدة من مجموعة من الألفاظ وصارت مرتبطة ومتناسقة مع بعضها مما ساعد على إبراز هذه الصورة بشكل رائع. وهذا دليل على براعة الشاعر في التصوير الفني وأنه أديب ماهر.

٥. صدق العاطفة

إن الشاعر قد استعمل ألفاظا حساسة حية في فنه الأدبي تبين أفقا واسعا من الإنفعالات والعواطف تكمن فيها معاني كريمة وأفكار فاعلة نفيسة، تتعلق بمصائب القتال الدموي وأفانين الحرب الملتهبة بين الفريقين. وقد بلغت بهم المعركة إلى قضاء يوم كامل في الميدان القتالي من أوقات النهار إلى أوقات الليل من الضحى إلى العصر، وللحكم على ما يوحى بالعاطفة الصادقة اقرأ قوله من هذه الوحدة:

فلقيناهم وأوغلنا بهم برماح وسهام كالمطر
واشربوا فرمونا مثلها فأقمنا هكذا حتى الظهر
فدعونا يا نزال للوغى فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايا فرءوا سهم أمثال جذع منقعر
ثم رحنا غانمين كأننا قد رجعنا من جواثي للحفر
فأحمدوا الله على إحسانه لأولى الإسلام يا أهل العبر

فاستعمال الشاعر الضمائر في "لقيناهم"، و "أوغلنا بهم"، و "فرمونا"، ولـ "فأقمنا"، و "فدعونا"، و "فدخلنا"، و "فسقيناهم"، و "رحنا"، و "كأننا قد رجعنا"، تدعو إلى تعاطف معه من خلال متابعة هذه النصوص الأدبية الرائعة التي تجسدت وتشكلت من تلك الألفاظ الشاحنة الموحية بالعاطفة الصادقة والتي لا يتردد في قبولها نفس لأن معانيها واضحة الإحساس. وتلك الألفاظ الدالة على تصوير الخوطر والمشاعر الداخلية تحمل معاني الفخر المحمود بالشجاعة والبطالة والبسالة مزجها الشاعر بألفاظ أخرى تكسب لمعانيها قوة وصلابة من مثل قوله "يا نزال للوغى"، و "فرأوا سهم أمثال جذع منقعر"، و "يا أهل العبر"، وما ذلك، كله إلا دليل ظاهر على عبقريته في هذا الفن فيوحي بها جميعًا لتتقاسما وتساوما في بث روح العواطف.

٦. أثر الثقافة العلمية

إنه معروف أن العمل الأدبي سجل مفتوح يعرف من خلاله الأديب للحكم على ثقافته ومدى ذوقه وميوله في حياته الخاصة به ومعرفة مدى تعامله مع بيئته ومجتمعه. ففي هذه القصيدة شعر هناك ظاهرة علمية تبين جانبا من ثقافة الشاعر، وهذه الظاهرة من مكوناته أديبا لذا تؤثر في شعره. ولما كان الشاعر مسلما مؤمنا بالله تجد شعره متأثر بالقرآن ما يدل على سعة علمه به ولمعرفة هذه الظاهرة. فقد جاء في شعره أثر فواصل القرآن الكريم وهي كقافية الشعر وقرينة السجع، وهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني. وكان للفواصل تأثير بالغ في إثارة الشعور والإنفعال، والشاعر متعاطف ببدائعها ورعتها فتأثر بها في شعره فوضع قافية أبيات شعره حرف متحرك بعده راء ساكنة يعد ذلم من الموسيقى الخارجية. وخير مثال في ذلك قوله:

قد تركناهم بها مثل الهبـا أو كأحطام الهشيم المحتظر

وقوله:

فسقينـاهم منـايا فرءوا سهم أمثال جذع منقعر

وقوله:

إذ رجعنا لهم وقت الضـحى بجنود كجراد منتـشــر

فصوت القافية ورد على شكل "٠\\٠" حرف ساكن بعده حرفان متحركان فساكن. فهو قد أجاد في اختيار هذا الحرف الروي الراء الذي يوافق غرض القصيدة ومعانيها ويوافق موضوعها، وأن جو القصيدة يتفق مع نغمات القافية حيث يكون في نوع من الاضطرار والخيرة وعدم السكون والثبات في مكان واحد. فطبيعة المقاتل في الحرب عدم استقرار واطمئنان في مكان واحد، لابد من كر والفر والجر والمر حتى لا يصاب بالسيف والسهم والرمح. كل هذه تأثر بالقرآن العظيم من حيث الفواصل ومعانيها وجرس كلماته وذلك من قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر....﴾ (Quran 54: 31)، وقوله تعالى: ﴿خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ (Quran 54: 7).

فنغمات قافية القصيدة تتفق بمقاطع هذه الفواصل القرآنية، وهي تحمل ايقاعًا مؤثرًا في النفوس، يتفق هذا الإيقاع مع نسق الكلام فكان لها بهاء وحسن يحتل موقعًا كبيرًا في النفوس، إلى جانب ما فيها من انفعال الغضب والاضطرار والخيرة حيث أن السورة تذكر كفار مكة بانتقام الله على أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعداء رسله عليهم السلام. فكان الشاع استفطن لهذه المعاني القرآنية فوضع قافية قصيدته على شكل ما ورد به القرآن العظيم ذلك، كان أعداءهم قد جاوزوا الحد في ظلم المسلمين وبغوا عليهم ثم أظهروا الكفر كما أن كفار مكة كذبوا سيدنا رسول الله وقالتلوه ظلما فانتقم الله منهم. وبهذا يحكم أن الشاعر قد أصاب الهدف في شعره بموافقة قافيته بفواصل القرآن، وهذا في غاية الروعة والبراعة والسمو بالفن وخاصة ما جاء فيها من ترنين الصوت. نهيك عما فيها من تأثره بألفاظ القران في قوله "هشيم المحتظر" وقوله: "جراد منتشر" و "منقعر". هكذا جرت على لسانه هذه الألفاظ القرآنية بدون تكلف وإنما طبيعة ممن تأثر بالقرآن العظيم نتيجة تفاعله مع القرآن وأدبه معه وقد تكوَّن فيه كل الإمكانات التي تتفق مع القرآن العظيم وصار لديه ذوق قرآني محض، لأنه متعايش معه امتثالاً لـ "خذ الكتب بقوة". وحينما اقتبس الشاعر شيئا من ألفاظ القرآن العظيم أو أحضر تناصًا من ألفاظه في أبياته فإن الشعر يكتسب دقة وأصالة، حسنا وجمالاً وروعة.

الخاتمة

في نهاية هذا المقال يلخص أهم ما جاء فيها من حيث أن الباحث عرض فيه المقدمة والتعريف بشخصية الشاعر وذكر وفاته وقدم بعض إنتاجاته ثم ذكر نص القصيدة وشرحها مع دراستها الأدبية وبين ما فيها

من الخصائص الفنية من جانب مذهب الشاعر الفني وجانب الألفاظ والمعنى من حيث المساواة ولغة القصيدة وجمالية الصورة من الشكل والمضمون وصدق العاطفة. وإن الشعر سجل كبير لتدوين الأحداث التاريخية وأداة لإثارة الحماس ووسيلة للتعبير العاطفي الذي يحرك المجتمع. وكان الشعر من قبل علماء هذه المناطق النيجيرية في تدوين الأحداث والوقائع من مجهودات اتسمت بالامتياز وبالجودة الفنية ومثلت مدى حسن قدرتهم في السمو بالتاريخ والتراث الديني في البيئة النيجيرية والمجتمع الإسلامي ككل.

المراجع

Abū Bakr, A. (1972). *al-Thaqāfah al-ʻArabīyah fī Nījīriyā*. (n.p.).
Bello, M., ibn Fodi, U. (n.d.). *Infāq al-maysūr fī tārikh bilād al-Takrūr*. Sokoto: Nafaqat al-Ḥāj Muḥammad Tin Aghghi.
Ḍayf, S. (n.d-a). *Tārīkh al-adab al-ʻArabī: al-ʻAṣr al-Jāhilī*. Kairo: Dār al-Maʻārif.
Ḍayf, S. (n.d.-b). *Tārīkh al-adab al-ʻArabī: al-ʻAṣr al-Islāmī*. Kairo: Dār al-Maʻārif.
Ḍayf, S. (n.d.-c). *Tārīkh al-adab al-ʻArabī: al-ʻAṣr al-ʻAbbāsī*. Kairo: Dār al-Maʻārif.
Ibn Manẓūr. (1990). *Lisān al-ʻArab* (Vol. 3). Beirut: Dār Ṣādir.
Ibn Fodio, A. (n.d.). *Tazyīn al-waraqāt bi-jamʻi baʻḍ mālī min al-abyāt*. (n.p.).
Ṭabal, H. (1998). *al-Maʻná al-shiʻrī fī al-turāth al-naqdī*. Kairo: Dār al-Fikr al-ʻArabī.
al-Zamakhsharī. (n.d.) *Tafsīr al-kashshāf* (Vol. 1). Kairo: al-Maktabah al-Tawfīqīyah.